

الكشاف

قرأ الحسن " من البعث " بالتحريك ونظيره : الجلب والطرء في الجلب والطرء كأنه قيل : إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم . والعلة : قطعة الدم الجامدة . والمضغة : اللحم الصغيرة قدر ما يمضغ . والمخلقة : المسواة الملساء من النقصان والعيوب . يقال : خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم : صخرة خلقاء وإذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المصغ متفاوتة : منها ما هو كامل الخلقة أملت من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتماهم ونقصانهم . وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة " لنبين لكم " بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلة مضغة والمضغة عظاما : قدر على إعادة ما أبدأه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس . وورود الفعل غير معدي إلى المبين : إلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتننه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبيدة : ليبين لكم . ويقر بالياء وقرء " ونقر " ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر : بالنصب والرفع . وعن يعقوب : " نقر " بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه : فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر " في الأرحام ما يشاء " أن يقره من ذلك " إلى أجل مسمى " وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر . وما لم يشأ إقراره محتة الأرحام أو أسقطته . والقراءة بالنصب : تعليل معطوف على تعليل . ومعناه : خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين أحدهما : أن نبين قدرتنا . والثاني : أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم . ويعضد هذه القراءة قوله : " ثم لتبلغوا أشدكم " وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس . ويحتمل : نخرج كل واحد منكم طفلا . الأشد : كمال القوة والعقل والتميز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع . وقرء " ومنكم من يتوفى " أي يتوفاه الله " أزدل العمر " الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته : ضعيف البنية سخي العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى " لكيلا يعلم من بعد علم شيئا " أي : ليصير نساء بحيث إذ كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك : من هذا ؟ فتقول : فلان

فما يلبث لحظة إلا سألك عنه . وقرأ أبو عمرو : العمر بسكون الميم . الهامدة : الميتة اليابسة . وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها ا في كتابه " اهتزت وربت " تحركت بالنبات وانتفخت وقرء " ربأت " أي ارتفعت . البهيج : الحسن السار للناظر إليه .

" ذلك بأن ا هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن ا يبعث من فى القبور " .

أي : ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب فى حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو " بأن ا هو الحق " أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد .

" ومن الناس من يجدل فى ا بغير علم ولا هدى ولا كتب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل ا له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن ا ليس بظلم للعبيد "